Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 15-16:4-1 (1980-81

الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامى فى الجزائر

عبدالرحمن الطاهر السورتى
مجمع البحوث الاسلامية
اسلام آباد

تلقينا دعوة من وزارة الشؤون الدينية ، بالجزائر لنشترك فى الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامى ، وقد سمعنا عن هذا الملتقى قبل ، وقد حضره الباكستانيون من قبل ، غير انهم دعوا هذه المرة علماء مجمع البحوث الاسلامية وكأن احدا أوعزهم بتوجيه هذه الدعوة وعرفهم بهذا المجمع الذى غرضه الوحيد اعداد البحوث حول المسائل الحاضرة والبحث عن الحلول للمشاكل المعاصرة ، وكانى أرى فى كل هذا يدا لسعادة السفير الجزائرى السابق محمد العربى دماغ العتروس ، الذى كان فى أيام سفارته كثيرا مايختلف الى المجمع ويزور مكتبته الحافلة بالكتب القيمة ، ويقابل الباحثين وكأنه واحد منهم ، وكثيرا ما ناخذ معه اطراف المسائل ويعرف بعضنا رأى الآخر حول مشكلة أو موضوع ، وكثيرا مارأينا فى خلال المناقشة أنّ سعادة السفير متعمق فى الموضوع ، متضلع من البراهين متفتح فى رأيه ، متقدم فى فكره ، جل همه أن يصل الى الدين الاصلى ويزيل من الدين ما تركب عليه من اوهام واهواء ويفرده من الشخصيات والاحبار والرهبان ، ولا انس ما سمعت منه يوما انه كان مع عقيلته يستمع اذاعة بلد اسلامى ، وكان

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

محاضر يتحدث حول مكانة المرأة ، ويحط من قدرها ، وينال من كرامتها ، و يضيق عليها حريتها ، سئمت السيدة المثقفة من كلامه وقالت : كان اجدر بهذا المحاضر ان يكون فى مستشفى المجاذيب بدل أن يكون فى الاذاعة .

لم تصلنى رسالة الدعوة الاقبل اسبوع وقد كنا نسمع قبل ذلك أن الدعوة وجهت الينا ، ولما علمت انهم خصصوا اربع نقاط للبحث والمحاضرة وهى

١ ـ الونشرنس قلعة من قلاع العلم والنضال » .

٢ ـ الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة .

٣ ـ آفاق التربية الاسلامية .

٤ ـ آفاق الدعوة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى .

بادرت فى اعداد عجالتى عن موضوع الدعوة الى العبادة »

كان الوفد الباكستانى مكونا من أربعة اعضاء وهم الدكتور الاستاذ عبدالواحد هالى بوته ، مدير مجمع البحوث الاسلامية وانا والاستاذ محمود أحمد غازى والاستاذ محمد الغزالى ، وكان مدير المجمع الدكتور عبدالواحد هالى بوته رئيس الوفد ، واستلمنا تذاكرنا من السفارة الجزائرية باسلام آباد فى ٢٦ / أغسطس ١٩٨٠ م وتأهب كل واحدمنا للسفر وكان موعد المتلقى اولا من ٢٧ / أغسطس الى ٣ / سبتمبر ١٩٨٠ م ثم غير الموعد وأجّل الى ٣١ / أغسطس حتى ٧ / سبتمبر ١٩٨٠ م ، وسافرنا من اسلام آباد عن طريق دمشق ، روما ـ الجزائر ، ووصلنا ليلة ٣٠ / أغسطس الجزائر ، وكان مسئول وزارة الشئوون الدينية فى استقبالنا وابلغنا الى فندق مزافران . فبتنا الليلة فيه ، وكان الجو لطيفا معتدلا ، لم نحتج الى مكيف أو مروحة ولا الى دفاية .

وفى صباح ٣١ / أغسطس فى الساعة التاسعة بالضبط ابتدأ الملتقى الرابع عشر ، وقبل موعد الجلسات تعرض الاناشيد الوطنية الاسلامية ، وقد دعى فى الملتقى الف طالب وخمسمائة طالبة ومائة وثلاثون استاذا من الجزائر وكانوا

ضيفا على الحكومة ، كما دعى فيه أكثر من ثلاثين وفدا دوليا من العلماء والمفكرين الباحثين من باكستان والهند وروسيا والصين وايران وانجلترا وفرنسا وسورية وتركيا وغانا والاردن ومصر والعراق والمملكة العربية السعودية واليابان وقطر وتونس وكان هؤلاء الممثلين الاجانب حوالى ستين .

وعندما كان يبدأ بالقاء الاناشيد ترتج القاعة باصوات الطلاب والطالبات التى كانت تتردد ، وتتوافق نغماتهم مع اصوات المغنى بانسجام ، وسمعنا عدة مرات المغنى يسمعنا انشودة العلامة محمد اقبال : الصين لنا والهند لنا ، والعرب لنا والكل لنا ، وهنا تمثل أمامنا شخصية اقبال الاسلامية وبرز فكره جليا أمام الحفل ، وذكرنا ، الشيخ صاوى على شعلان الذى ترجم هذه القصيدة .

وكانوا يحكمون الدقة فى نظام الملتقى ومواعيدها اذ كان المتكلمون كثيرين والوقت ضيقا ، ففى البداية اعطى كل محاضر نصف ساعة ليلقى كلمته بالايجاز ويركزها فى النقاط الهامة التى يدرو حولها البحث و فى اليوم الاخير جعلوه ربع ساعة لكل محاضر .

وافتتح المؤتمر معالى عبدالرحمن شيبان وزير الشؤون الدينية بالجزائر ، وهو عالم متخرج من المدرسة الدينية ، ذو نظر واسع فى العلوم الحديثة ، يعرف المشاكل المعاصرة ، وكان يحضر كل جلسة ويسمع المحاضرات والتعقيبات ، وكان جو الملتقى مفتوحا حرا ، يعطى كل محاضر فرصة ليبدى آراءه كاملة بصراحة وبحرية بدون أى قيد سوى قيد الموضوع ، حتى لايخرج المتكلم من حدود موضوعه . وكان يحضر بعض الوزراء فى بعض الجلسات كما شرف الملتقى . بالحضور فخامة الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد ، وقابل الوفود وتعرف عليهم فى جو خال من الرسميات .

وكانت كل جلسة تبدأ بتلاوة آيات من القرآن المجيد ، وما كان هناك مجودا خاصا يتلو كلام الله ، بل كانوا يطلبون من أى محاضر أن يتلو عليهم ما تيسر

من القرآن الحكيم ، فمرة تلا الاستاذ الروسى محمد صلاح الدين بن محى الدين الطشقندى وأكثر من مرة تلا فضيلة الشيخ طيار آلتى قولاج آى القرآن وكان لتلاوته تاثيرا بالغا لكونها سلسة منسجمة مرتلة بدون أى تعمد وتكلف ، لايضع يده على اذنه ولا تنتفخ اوداجه ، والاستاذ طيار آلتى قولاج هو رئيس الشؤون الدينية والمفتى الاعظم بتركيا ، وسألته مرة هل أنتم سجلتم تلاوتكم فى الاشرطة ؟ فقال نعم ، انا سجلت القرآن كله فى الاشرطة ، وهى عندنا فى تركيا ، وسوف اهديكم القرآن الكريم مسجلا بصوتى ، وكثيرا ما يطلب منه المسئولون أن يتلو آيات القرآن فى الجلسات .

وكانت هيئة الملتقيات تعين لكل جلسة رئيسا ونائب رئيس من العلماء الممثلين المحليين والاجانب ، ومرة سمعنا من الدكتور داؤد كاون استاذ فى قسم الشرق الادنى والاوسط وبمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وكان رئيس الجلسة يدعو نائبه قائلا : قبل أربعين سنه وكنت ادرس فى الازهر الشريف كان معنا طالب صينى ، التقيت به بعد أربعين سنة فى هذا الملتقى فليتفضل الاستاذ الحاج سليمان تشانع بينغ دو . وجلسات الملتقى تستمر من الساعة ٣٠ ، ٨ صباحا الى الساعة ٣٠ ، ٢١ ليلا ، تتخللها فترات لتناول بعض المشروبات واستراحات قصيرة للصلوة والغداء ، وكانت هذه هى فرص التعارف ، وعندما كنا نخرج من القاعة تحف بنا جماعات الطلاب الجزائريين لايمكن لى أن اعبر عن تعطشهم لمعرفة أخبار باكستان والنشاطات الدينية فيها ، وتطبيق الحكومة قوانين الاسلام ، وكانوا يوجهون الينا اسئلة حول الجماعات الدينية فى باكستان وصلة الحكومة بالجماعات الدينية ، وكانوا يطلبون منا مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية فى اللغة العربية وخاصة ، مجلة الدراسات الاسلامية التى تصدر من المجمع فى كل ثلاثة اشهر مرة ، كما اعطانا بعضهم عناوينهم وسوف نلبى لهم رغباتهم فى المستقبل القريب ، ان شاء الله تعالى .

وكما علمتم ان الملتقى خصص للبحث أربع نقاط ، فكانت النقطة الاولى تتعلق بالمنطقة المحلية الونشريس، وكان هذا موضوع جلسات اليوم الاول وقدم عدة من الباحثين الجزائريين والفرنسيين مقالاتهم حول الونشريس وتاريخها الثقافى والسياسى ومساهمة سكانها فى النضال للتحرر من الاستعمار وابرزوا مكانتها بكونها قلعة من قلاع العلم والنضال . وفى ختام المقالات حول كل نقطة من نقاط الملتقى كانت تعقد جلسة للتعقيب على المقالات ، فالعلماء كانوا يعقلون ويناقشون آراء المحاضرين بغاية الحرية ، والمحاضر يرد عليهم بهدوء من طريق علمى ،وكان هناك جلسة خاصة بعد الانتهاء من كل نقطة تفرد الطلاب والطالبات للتعقيب عليها ، يوجهون فيها الاسئلة الى أصحاب المقالات . يستوضحون ما أشكل عليهم من جوانب المقالات . وكانت من ميزات هذا الملتقى انه كان يعطى الطلاب فرصة لازالة شكوكهم واستفهام النقاط الصعبة ، وكأن هذا الملتقى كان فصلا لتعليمهم وتدريبهم وتربيتهم ، و عمل تربيتهم هذا مستمر من الملتقى الاول ، وما فى ذلك من شك ان تكرار هذا العمل يكون قد اعد لالجزائريين جماعات من الاساتذه والطلاب الذين يستطيعون حل مشاكلهم عن طريق البحث العلمى الدينى ويفهمون مسائلهم حق الفهم .

وكانت النقطة الثانية «الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة » ، وهذا الموضوع الهام استغرق يومين كاملين وقدم البحوث حول جوانبه العديدة افاضل العلماء الباحثين ، واتفق كلهم على أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يقدم للانسان مبادىء متينة سامية ناجحة لحل مشاكله وان جميع المحاولات والافكار والنظريات التى ظهرت بعد الاسلام ، لافرق بين الشرقية منها والغربية ، فشلت فى حل مشاكل الانسان و اسعاده .

وبعد ما تنتهى المقالات حول النقطة تعقد جلسة التعقيب وكانت التعقيبات ايضا لم تكن تعقيبات مجردة تنتقد و تشير الى بعض النقص ولكنها كثيرا

ما تضيف معلومات ثمينة الى موضوع المقالات كما تقدم أفكارا جديدة لفهم الموضوع .

وكانت لغة المحاضرين عامة اللغة العربية ، وقدمت بعض المقالات فى الفرنساوية والانكليزية ايضا غير ان نظام الترجمة كان جيدا جدا ، وكانت المقالات المطبوعة توزع فى اللغة العربية والفرنساوية معا ، وكانت جماعة المترجمين يترجمون بعض المقالات ترجمة فورية ، وكلنا يعرف صعوبة ترجمة هذه المقالات العلمية الدقيقة ، وعلى كل فكانت الترجمة مفهومة.

وقد شاهدنا فى خلال المناقشات والتعقيبات ان القيود الصناعية والحدود المتخذة من عند انفسنا ، والاسماء التى ما انزل الله بها من سلطان تضيق كثيرا آفاق حريتنا ، ولكن المناقشات كانت فى بيئه علمية وجو هادىء ، وفوق ذلک فان تعليمات هيئة الملتقى قررت ان لا تعقيب على التعقيب .

وكانت النقطة الثالثة تتعلق بآفاق التربية الاسلامية وقدمت مقالات قيمة فى هذا الموضوع ، شارک فيه الدكتور محمد الغزالى ، استاذ كلية الشريعة ، بمكة المكرمة ، كما قدم الاستاذ الشيخ بو عمران (جامعة الجزائر) مقاله بعنوان فلسفة محمد اقبال الدينية والسياسية . وقدم الدكتور موريس بوكائى الفرنسى تجربته الشخصية بخصوص تفاسير القرآن وترجماته الحديثة ، والدكتور موريس بوكائى معروف بمؤلفه «القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » والدكتور موريس رأيه فى ترجمة القرآن المجيد انه لا يؤدى حقها الا من كان ذا ثقافة علمية بجانب ثقافته الادبية . ويضرب لتفصيله مثلا ماجاء فى القرآن خلق الانسان من علق « فالعلق » ترجمه المترجمون «الدم المنجمد أو الدم المتخثر » وذلک خطأ واضح بل يجب أن يؤخذ فى معناه الاولى ، أى هو شىء يعلق .

ان هذه السنة هى السنة الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى والعالم سوف يدخل بعد نهايتها فى القرن الجديد القرن الخامس عشر الهجرى ، القرن

الذى يدعونا الى ان نتفكر فى استقباله ، نستعرض امكانيات نشر الدعوة الاسلامية فيه ويحتم علينا ان نبرز الدعوة الاسلامية بصورتها الاصلية حتى لانتيه ولا نضل و يتطلب منا ان نطبق الاسلام الحقيقى على انفسنا ونغدق على مجتمعنا ثمراته وخيراته وبذلك نثبت أمام العالم أفادة الاسلام ، ولكن ما هى الدعوة الاسلامية وآفاقها ، وكيف نطبق الاسلام على أنفسنا ومجتمعنا ، كل ذلك حاجة اليوم ، ولكى نتفكر فى هذا الموضوع حال وقت البحث حول النقطة الرابعة فى الملتقى .

ان الذى يريد ان يتبع الحق فعليه اولا ان يعرف ماهو الحق ثم ليتبعه ، كذلك امر الدعوة الاسلامية يقتضى ان نعرف اولا الاسلام حق المعرفة ، ان الاسلام دين الله الخالص ، هو الذى شرعه واكمله وليس لاحد غيره ان يضيف اليه من تلقاء نفسه شيئا ، اما الاسلام الآن فهو مركب من افكار الرجال ، يشتمل على قائمة طويلة من الحرام والحلال وكلها من عند غير الله .

وكان خلاصة مقالى „الدعوة الى العبادة " ان الانبياء كلهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده وما خلقهم الا لعبادته ، وعبادة الله وحده هو الدين والاسلام ، الفاظ مختلفة ومعناها واحد ، فالعبادة هى التمسك بالحق واتباعه واقامة العدل ، فاينما وجد الحق والعدل فاتباعه هو شرع الله ودينه وعبادته ، كما قال العلام ابن القيم الجوزية : „فبأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى الدين وليست مخالفة له ، وان السياسة ما كانت فعلا يكون معه الناس اقرب الى الصلاح وابعد من الفساد وان لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحى " . واستخراج الحق والعدل يقتضى العلوم الكثيرة ، ولا يمكن لنا ان نعبد الله الا بالعلم ، و ان الجهل واتباع ما الفينا عليه آباءنا حاجزان فى طريق عبادة الله . والعلم بالطبيعة التى هى سنة الله فى الكون ومشاهدتها ومعرفة اذن الله ومشيئته وقدر الله وفطرته تقربنا من الله ، فهى عبادة الله ، وان الصوم والصلوة والزكوة والحج ليست غايات وانما هى وسائل لتعويد النفس على اتباع الحق أى عبادة الله وحده فى جوانب

الحياة كلها . ويجب علينا ونحن على باب القرن الخامس عشر الهجرى ان نخصصه لعبادة الله وحده ، وان نجعل اعمالنا كلها عبادة ، ان يكون هدفنا الأعلى العبادة لله وحده ، نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .

و كان ملخص مقال الاستاذ محمود احمد غازى كالآتى : العلوم الاجتماعية التى ورثها العالم الاسلامى من الغرب انما هى مصبغة بالصبغة الاوربية الالحادية ، لأنها ظهرت وتطورت فى بيئة الحادية ، ولذلك فليس من المستحسن أن نأخذها كما هى بل الأحسن أن ننتقدها انتقادا علميا اسلاميا ونأخد منها ما صفا ووافق القرآن والسنة وندع منها ما كدر وخالف القرآن والسنة والخطوة الأولى فى هذا الاتجاه هى الثورة على استيلاء الغرب الفكرى والحضارى فان رفض امامة الغرب مرحلة يجب أن تسبق مرحلة اثبات الاسلام وتطبيقه .

و كان موضوع الاستاذ محمد الغزالى الباكستانى «آفاق الدعوة الاسلامية وواقعنا الفكرى اليوم» وخلاصة مقاله : ان الانسانية عامة والأمة الاسلامية خاصة تمران بمرحلة حاسمة فى تاريخ مصيرهما . فالانسانية سوف تدرى عاجلا أو آجلا أن الوضع العالمى الحالى يحتم عليها أن تختار بين أحد الأمرين أما أن تواصل مسيرها فى مسالك الحياة الحالية المتفاوتة التى تجعل الناس أشتاتا أو تبحث عن بديل لها بعد أن جربت المسيحية كدين ودولة ، واختبرت الرأسمالية الطبقية الظالمة وذاقت طعم الشيوعية الملحدة المستبدة . وكل هذه التجارب التى مرت بها الأمم مازادتهم الا اضطرابا وانتشارا وفوضى مع أنه خيل للناس أنها تلبى بعض حوائجهم وتعالج بعض مشاكلهم ولكن كان عاقبة أمرها خسرا ولم تملاء الأرض الا ظلما واستغلالا ، واحلت أتباعها دار البوار ففى هذه المرحلة تترتب على المسلمين المسئولية الكبرى ليظهروا للانسانية الحائرة حقيقة الدين الخالص و هذه المسئولية لابد من أدائها فاننا لن نكون من المفلحين الا بأداء مسئولية

الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهذه الدعوة الى الاسلام لن تنجح مالم نصحح الأفكار الخاطئة التى تشوه وجه ديننا الصافى . وهذه الحركة التصحيحية تقوم من وجهين :

١ ـ بفتح باب الاجتهاد فى الشريعة الذى هو بمثابة الروح للشريعة الاسلامية والقضاء على الجمود الفكرى والركود العقلى .

٢ ـ بالوقوف موقف الاجتهاد من كل ماتلقينا من الغرب من علوم فنعرضها على معيارنا الخاص فان وجدناه مطابقا له أخذناه والا رددناه .

وبعد احداث هذه الثورة فى التفكير يجب علينا أن نطبق الاسلام على أنفسنا أولا ثم ندعو العالم اليه . فان العالم اليوم لا يكاد يقبل أى فكر أو نظرية الا واختبره فى المختبر العلمى ، فلا يكفينا أن نقول للعالم أن الدولة الاسلامية كانت دولة عظيمة فى القرون الخالية (وأن المجتمع الاسلامى كان مجتمعا عادلا وتقدميا وانسانيا وديموقراطيا فى الماضى . فالعالم لن يقتنع بحقانية الاسلام اذا عشنا فى العهود الماضية (نوستلجيا) ولم نهتم ببناء المجتمع الاسلامى اليوم ولم نقد أمام العالم مثالا عمليا حيا ولم نبرهن على قابلية الاسلام للحيوة والتقدم والتطور .

وكان مقال الدكتور عبدالواحد هالى بوته حول موضوع مفهوم المعرفة فى الاسلام ،، سيجده القارىء فى هذا العدد.

حقا ان الملتقى الفكرى الاسلامى كانت فرصة طيبة لتبادل الافكار بين العلماء ومفكرى الامة الاسلامية على اختلاف الاقطار ومعرفة التيارات الفكرية لديهم ، وانى لمتاكد ان هذا الملتقى سوف يوجه الطبقة المثقفة الجزائرية الى حياة فضلى ويعودهم على البحث والنظر فى المسائل الحاضرة ، وان التوصيات التى أعلنت عقب الملتقى ستعطى المسلمين فرصة للا نجازات فى مجال تطبيق الاسلام.

*****